البحوث والدراسات

التواصل العلمي بين المغرب والمشرق: العياشـــي نموذجـاً

أ. د. الغالي بنهشوم

ملخص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى تعرّف ما يأتي:
- استشراف الرحلة العياشية الحجازية في التعريف بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي تزخر بها الجزيرة العربية.
- إسهام أبي سالم العياشي في دعم التواصل الفكري والحضاري بين المغرب والمشرق.
- قنوات التواصل بين المشرق العربي والمغرب.
- دور الرحلات المغربية في التأريخ للجزيرة العربية.

المنهج: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته لطبيعة الدراسة، انسجاماً مع طبيعة الخطاب الرحلي.

النتائج: أظهرت نتائج الدراسة ما يأتي:
- أسهمت عوامل التواصل بين المشرق والمغرب في توثيق العلاقة بينهما.
- شكلت الرحلات المغربية نحو الجزيرة العربية مصدراً مهماً من مصادر تاريخ الحجاز وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والعلمية والدينية.
- أسهم الرحالة أبو سالم العياشي في تقديم إفادات أنطروبولجية، من خلال وصفه للتركيبة السكانية والبشرية بالجزيرة العربية.
- أسهم الرحالة العياشي في تقديم إفادات في مجال المعاملات الاقتصادية والتجارية السائدة بالجزيرة العربية.

الخاتمة: شكلت عوامل التواصل الفكري والحضاري بين المشرق والمغرب، وفي مقدمتها الرحلات الحجية عامة والرحلة العياشية خاصة مصدراً مهماً من تاريخ الحجاز وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والعلمية والدينية، وأسهمت بشكل كبير في التأريخ للجزيرة العربية خلال ق11هـ/ 17م؛ حيث استطاع أبو سالم تقديم إفادات أنطروبولجية، من خلال وصفه

- تسلّم البحث في 2019/6/17، عُدّل في 2019/10/23، أجيز للنشر في 2019/10/29.
Doi: https://www.doi.org/10.34120/0382-047-182-002

للتركيبة السكانية والبشرية، والتقاليد والعادات، كما عرف بالنشاط الاقتصادي والتجاري السائد آنذاك. وبذلك شكلت الرحلة مصدراً مهماً في تحقيق التواصل الحضاري بين جناحي العالم الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التواصل، المشرق، المغرب، الرحلة، العياشي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن التواصل بين المشرق والمغرب، يقتضي البحث في عوامل التواصل الثقافي المغربي المشرقي؛ ومن ثمة البحث عن المؤثرات الثقافية الحضارية المشرقية، ومدى تفاعل الثقافة المحلية مع هذه المؤثرات؛ إذ إن تفاعل هذه الثقافة مع ثقافة الجزيرة العربية كان مطلباً ضرورياً وأمراً طبيعياً، وذلك يعود إلى عوامل البيئة المغربية التي كانت تنطبع بالطابع العربي وإلى الذوقين المتقاربين، ثم إلى الروابط المتينة التي وجدت بين منبع الإسلام والمغرب؛ فالمغاربة كانوا شديدي الإعجاب بالمشرق؛ فهو مهد ثقافتهم العربية والمصدر الأول لثقافتهم ودينهم، فهم يتطلعون باستمرار إلى ما يعمل في ساحته الفكرية الأدبية وإلى كل ما يظهر من رجالاته ومما يسبقون إليه من مجالات الفكر والإبداع، وقد شاء الله الذي هيأ لهذه البقعة المقدسة أن تكون مناراً للإنسانية جمعاء، يقول بنعبد الله (1986): "وأن تكون أيضاً منطلق الحضارات التي أشعت على الرافدين ونهر بردى والبحر المتوسط، فلا بد – إذن – أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضاري في تاريخ المستقبل؛ لأنها هي المنبع الوحيد الذي يفيض ليغمر تواريخ الإنسانية في كل مكان، وخاصة في المعمور الذي رفرفت عليه ألوية الإسلام" (ص. 251).

أهمية هذه الدراسة

أولاً: في استشراف دور الرحلة الحجازية المغربية في التعريف بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والحضارية التي تزخر بها الجزيرة العربية

منذ قرون خلت؛ سعياً إلى توثيق عرى التواصل بين مشرق الأرض ومغربها عبر واقع المشاهدة والمعاينة الحية لمعالم الجزيرة.

ثانياً: إلقاء الضوء على أبرز الرحلات المغربية نحو الجزيرة العربية خلال ق11هـ/17م، والتعريف بأهم الأعلام الذين زاروا الجزيرة العربية، فوثقوا مشاهد حية من واقعها.

ثالثاً: التعريف برحلة أبي سالم العياشي ودورها في دعم التواصل الفكري والحضاري بين جناحي العالم الإسلامي.

المنهج

عوامل التواصل بين المشرق والمغرب

لقد أسهمت مجموعة من العوامل في تمتين العلاقة بين المشرق والمغرب، ولعل أهم هذه العوامل:

أولاً: زيارة المراكز العلمية

لم يقتصر الرحالة المغربي على زيارة المراكز العلمية الموجودة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وإنما كان منجذباً نحو مراكز أخرى بالمشرق العربي كدمشق وبغداد والبصرة، والكوفة، والقدس الشريفة؛ نظراً لما كانت تشتمل عليه هذه المراكز، من مدارس ومكتبات. يقول الدكتور الحسن الشاهدي (2002): "وربما كان هذا هو السبب الحقيقي لرحلة كثير من العلماء إلى الحواضر والأماكن التي لا تقع على طريق الحاج المغربي، مثل دمشق؛ نظراً لكونها كانت مركزاً علمياً مرموقاً، اكتسى أحياناً طابع القدسية لاشتماله على المصحف الشريف والنعل النبوي، لذلك كله قصدها جل الرحالة المغاربة إن لم نقل كلهم؛ فمعظم الرحلات المدونة قد خصصت للشام ودمشق النصيب الأوفر من أوصافها، وتراجمها".

إن مراكز النشاط العلمي في المشرق كانت مقصد المغاربة، تستهويهم بما تحويه من مجالس علمية ومؤسسات ثقافية، وهذا هو أحد الأسباب العلمية التي كانت وراء الرحلة إلى كبريات الحواضر المشرقية، ولقد أفصح عن هذه الرغبة

العلمية كثير من الرحالة المغاربة؛ فابن جبير (ت614هـ) – مثلاً – يواظب على حضور المجالس العلمية والوعظية ببغداد (ابن جبير، 1980)، وابن بطوطة (979هـ) انشغل هو كذلك في دمشق بمجالس العلم والخطب الدينية، وحرص على تتبع ما فيها من مدارس علمية لكل من الشافعية والحنفية والمالكية (ابن بطوطة، 1987). ولكن أبا سالم العياشي (ت 1090هـ) في خضم هذا المسار الباذخ لم يكتف بما اكتفى به غيره من الرحالة؛ فقد شد الرِّحال إلى بيت المقدس، والحرمين الشريفين، وحرص في طريقه نحو وجهته المقدسة على لقاء الرجال والاتصال بالأعلام من متصوفة وفقهاء وقضاة وعلماء وأدباء وغيرهم، كما عمل في أثناء مدة مجاورته التي فاقت سبعة أشهر على التفاعل الإيجابي والخلاق مع محيطه الاجتماعي، وهو ما نتج عنه جملة من الإجازات والاستجازات، وأفرز عدداً من القصائد والرسائل والخطابات (الفاضلي، 2006).

ويهمنا من ذكر هذه الأماكن والمراكز العلمية التي زارها الرحالة المغربي هو إبراز جانب من تاريخها العلمي والعمراني والاجتماعي وما كانت تضطلع به من أدوار علمية وأدبية مائزة تحولت في المدونة الرحلية إلى مراكز إشعاع للجزيرة العربية في فترة ق11هـ/17م.

ثانياً: حركية التأليف

إن حضور المؤلفات المشرقية المختلفة المشارب في المغرب وحضور المؤلفات المغربية في المشرق أسهم في تمتين الروابط العلمية، وكذا استمرار انتقال المؤثرات التاريخية والثقافية والحضارية والاجتماعية بين القطرين، ولذلك يتضح ذلك جلياً من خلال المؤلفات التاريخية والأدبية التي ألفها المغاربة بطلب من الأمراء والأعيان المشارقة، من أقدمها عمل المؤرخ والأديب عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ)، الذي رحل إلى المشرق فألف كتابه المشهور " المعجب في تلخيص أخبار المغرب" بطلب من أحد وزراء أحمد الناصر لدين الله العباسي؛ إذ عمل على إملاء أوراق تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره، وشيء من سير ملوكه ليعطي بذلك صورة عما يكتنزه المغرب

من طاقات مهمّة في مجال العلم والفكر والثقافة والتاريخ. فأصبح بذلك وثيقة أساسية لدى الباحثين والدارسين المشارقة. وفي العصر المريني ظهرت مجموعة من المؤلفات/رحلات لكل من العبدري[1] وابن رشيد[2]، وابن بطوطة وغيرهم، رسمت خطوطاً عريضة للثقافة المشتركة بين المشرق والمغرب، بها وصف مفصل عن تاريخ الجزيرة العربية السياسي والاجتماعي والعمراني والأنثروبولوجي. وتوجد نسخ عديدة من هذه المؤلفات في المراكز العلمية بالمشرق. أما المؤلفات العلمية والأدبية المشرقية التي كان لها حضور واسع في الساحة الثقافية المغربية؛ فهي كثيرة جداً، منها ما كان يدرس في حلقات الدرس، والبعض الآخر زين دور المكتبات الخاصة والعامة.

امتد الإقبال على التأليف وإطْلاع المشارقة على ما يزخر به المغرب حتى ق11هـ/17م عصر المقري[3] (986هـ-1041 هـ/1578م-1631م)، الذي ألف كتابه "نفح الطيب"، في إطار التعريف بالأدب المغربي، وكان هذا الكتاب "يحقق بيان الصلة الثقافية في المشرق والمغرب" (المقري، 1968، ص.16)، فضلاً عن كتابه الآخر " فتح المتعال في مدح النعال" الذي حاول صاحبه من خلاله وصف حضارة الجزيرة العربية وعمرانها ومزاراتها، ومن المؤلفات التي طار صيتها إلى المشرق "رحلة العياشي" التي تعد بمثابة كتاب لتراجم أعلام

(1) هو محمد بن محمد بن مسعود أبو عبد الله العبدري المعروف بالحيحي، كان شاعراً وناقداً ورحالة، اشتهر برحلته المسماة بالرحلة المغربية، توفي نحو 700هـ/1300م.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الفِهري السبتي المعروف بابن رشيد، ولد سنة 657هـ/1259م، شاعر وناقد ورحالة، اشتهر برحلته: ملءُ العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطَيبَة، توفي سنة 683هـ/1284م. النبوغ، 1/206.

(3) هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي المقري المكناسي. ولد سنة 960هـ/ 1553م، من أهم مؤلفاته: المنتقى المقصور، وجذوة الاقتباس، توفي سنة 1025هـ/ 1616م. النبوغ، 1/252-253.

ق11هـ/ق17م؛ إذ لم يبق ممن انتسب لهذا القرن من فقيه عالم، أو متصوف عارف، أو أديب شاعر، سواء بالغرب الإسلامي، أو مصر والحجاز، أو بالقدس وما والاه من المدن والأمصار، إلا وحرص العياشي على التقائه ومقابلته والأخذ عنه والتعريف به، ويكفي أن نشير إلى أن أبا سالم العياشي قد ألف كتابين، هما: "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر"[4]، و"إتحاف الأخلّاء بإجازات المشايخ الأجلّاء"، سجل فيهما نشاطه العلمي والثقافي في مختلف المراكز الثقافية العربية والإسلامية خلال القرن 11هـ/17م.

وكثيرة هي المؤلفات المشرقية التي كان لها حضور واسع في الساحة الثقافية المغربية؛ منها ما كان يدرس في حلقات الدرس، والبعض الآخر زين دور المكتبات الخاصة والعامة. ومما ساعد على تقاطر هذه المؤلفات وسرعة انتشارها في ربوع البلاد اعتناء سلاطين المغرب بجمعها في المكتبات واقتنائها من المشرق؛ فهذا يوسف بن عبدالمؤمن[5] ولع بجمع الكتب، فأسس مكتبة ضاهت مكتبة الخليفة الأموي الحكم، وقد احتوت على ستمائة مجلد، وكذلك كان ديدن السلطان أحمد المنصور السعدي، وكذا سلاطين الدولة العلوية، يقول الباحث أحمد العراقي: "إن حرص كل من محمد الثالث والمولى سليمان على التزود بالكتب وتزويد مكتبتهما الخاصة والمكتبات العامة بها قد جعلهما يسعيان لاقتنائها... وقد تقدم أن المولى محمد الثالث جلب عدداً منها من المشرق" (العراقي، 2008، ص. 130). فضلاً عن المقتنيات التي كان يأتي بها الرحالة المغاربة في أثناء عودتهم من المشرق؛ فأبو سالم العياشي (ت1090هـ/

(4) هو فهرسة أبي سالم العياشي الأولى والكبرى، تحقيق ودراسة: د.نفيسة الذهبي، نشر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996. ينظر: أبو سالم العياشي، عبد الله بنصر العلوي، 128–129.

(5) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ولد سنة 533هـ/1139م، هو ثاني خلفاء، حكم بلاد المغرب والأندلس بين 1163 و1184 في عاصمة دولته مراكش – المغرب – توفي سنة 580 هـ/1184.

1679م)– على سبيل المثال – اشترى في أثناء عودته من المشرق أزيد من خمسين مؤلفاً في الفقه والحديث والرواية والتاريخ والفكر والحضارة العربية الأصيلة. وعن هذا الطـريق أخذ الكثير من المؤلفات سبيله إلى بـلاد المغرب العربي، ثم انتقـل منها إلى مكتبات أوروبا والولايات المتحدة، وصارت هذه النسـخ التي قام بنسـخها نساخ مغاربة هي النسـخ الوحيدة لكثير من المؤلفات العلمية المهمة (الشاهدي، 2002، ص.209)، التي تعرف بتاريخ الجزيرة العربية وبموقعها الجغرافي وبطقوسـها وعاداتها وتقاليدها، ومن ثمة الإسـهام في التعريف بما تزخر به الجزيرة العربية من إبداعات خلال هذه الفترة.

ثالثاً: تدريس المؤلفات وتلقينها بالمغرب والمشرق

كانت الغاية التدريسية والتعليمية من أهم العوامل في انتشار الإنتاج المشرقي الذي يعرّف بالحضارة المشرقية وبتاريخها المجيد؛ ذلك أن معظم المؤلفات المشرقية، كانت تمثل جزءاً من المقررات التعليمية المفروضة على الطلبة؛ حفظاً وفهماً وشرحاً. فكان العلماء والأدباء يدرسون المؤلفات المختلفة في الحلقات العلمية بكل من المغرب (سبتة، القرويين، مراكش، فاس، تارودانت، الزاوية العياشية..)، وفي المشرق بكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر والشام والبصرة والكوفة وغيرها من المراكز العلمية التي يوجد فيها الرحالة المغربي. ويكفي أن نذكر تفرغ بعض الرحالين المغاربة كأبي سالم العياشي (ت1090هـ/ 1679م)، للتدريس في الحرمين الشريفين؛ حيث سنحت له الفرصة إجازة واستجازة الكثير من العلماء الذين التقاهم والقادمين من جميع أنحاء العالم كبدر الدين القادري، ومولاي عبد القادر الجيلاني، وعبد القادر الفاسي؛ الشيء الذي فتح باب التأثير والتأثر، وسمح بانتقال الكتب والمصنفات، ورواج الأفكار والمعتقدات على نطاق واسع بين المشرق والمغرب، خصوصاً إذا علمنا أن مثل هـذه اللقاءات التـي عقدهـا العياشـي مـع فطاحـل العلماء بالحرمين الشريفين تتيح المجال للمساجلات والمطارحات والمناقضات والمعارضات، والشروح والتوضيحات؛ مما انعكس إيجاباً على حركة التأليف والتدريس (الفاضلي، 2006).

وهكذا أسهم هذا الرحالة في تنشيط الحركة التعليمية في الديار المقدسة: مكة المكرمة والحرمين الشريفين؛ إذ انبرى للتدريس في المدينة المنورة، والقدس الشريف وغيرهما من الأماكن والرباطات المشرقية.

رابعاً: دور الركب الحجازي في تمتين روابط التواصل بين المشرق والمغرب

كان للركب أثر كبير في ربط المشرق بالمغرب، وتنشيط الرحلة من المغرب إلى الجزيرة العربية؛ نظراً لما يصحب الركب عادة من علماء وعلية القوم ممن لهم رغبة في تأدية الفريضة أو لقاء الشيوخ، ولما كان يرجع مع الركب عادة بعد انتهاء موسم الحج من علماء الشرق وفقهائه (الشاهدي، 2002). فأبو سالم العياشي في أثناء رحلاته الثلاث لأداء مناسك الحج :

الأولى: سنة : 1059هـ/1649م. وكان شاباً يافعاً.

الثانية: سنة 1064هـ/1653م. ولم يتجاوز من العمر السابعة والعشرين.

الثالثة: سنة 1072هـ/1661م. وهو في سن الخامسة والثلاثين من العمر.

كان يعمل جاهداً على تنشيط الحركة العلمية، وربط جسور التواصل بين مشرق الأرض ومغربها؛ فأينما حل وارتحل مع الركب الحجاجي انتقل إلى المساجد والزوايا والمراكز العلمية للقاء الأصدقاء والأحباء، والاستفادة مما عندهم من علوم وأسانيد وكتب، فأجاز واستجاز، وستظل توات والأزهر الشريف وطرابلس والقدس الشريف ومكة والمدينة مراكز علمية شاهدة على تاريخ علمي حافل سطره أبو سالم العياشي على صفحات رحلته الشهيرة.

لقد أسهم أبو سالم العياشي إلى جانب ثلة من الرحالين المغاربة في عرى التواصل بين المشرق والمغرب بفضل ما رسمته ريشته في أثناء زيارته للجزيرة العربية ودونته عدسته من عمران وحضارة وقيم اجتماعية؛ مما سهل عملية نقل الآداب والعلوم والتراث والحضارة من المشرق وإليه، وبذلك غدت الرحلة عاملاً أساسياً في تحقيق التواصل وتثبيت اللحمة الروحية بين مشرق الإسلام ومغربه.

التذكير بأبرز الرحلات المغربية نحو الجزيرة العربية خلال ق11هـ/17م

- الرحلة الحجازية "أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب"[6]، ابن مليح: محمد بن أحمد السراج. ألفها الكاتب صحبة الركب الحجازي (سنة 1040هـ/1630م).

- رحلة "هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام"[7]، الهشتوكي، أحمد بن محمد أحزي. شرع في هذه الرحلة سنة 1096هـ/1684م.

- رحلة اليوسي، أبو عبد الله محمد بن أبي علي الحسن، جمعها ولده محمد، وقد قام بها سنة1101هـ/1689م، توجد نسخة منها في المكتبة الملكية بالرباط، عدد 2343، ونسخة بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1418.

- رحلة "ماء الموائد"، العياشي، عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم (ت1090هـ/1679م)، في مجلدين، حققها: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، 2006م.

- "الرحلة المقدسة" المرابط، محمد بن محمد الدلائي الفاسي (1090هـ/1687م، تتكون من (136 بيتاً)، ذكر فيها منازل الحج من فاس إلى المدينة المنورة.

- رحلة علي بن محمد بن علي التمجدوتي (ت1003).

- رحلة "المعارج المرقية في الرحلة المشرقية"، الرافعي، محمد بن علي (1040–1125هـ/1713)، قام بهذه الرحلة سنة 1096هـ/1689م.

(6) توجد نسخة بالمكتبة الكتانية في عشرة كراريس، عدد 3152.

(7) توجد نسخة منها بخط المؤلف بخزانة تمكروت بالصحراء تحت رقم 276.

دور رحلة العياشي في التعريف بالواقع الاجتماعي والعمراني والاقتصادي للجزيرة العربية

يطمح هذا العرض إلى الكشف عن ملامح الصورة التي رسمها الرحالة المغربي للواقع الاجتماعي والاقتصادي والأثري والعمراني للجزيرة العربية في فترة ق11هـ/17م، ومن هذا المنطلق لا بد من تأكيد أن الرحلة قد شكلت مصدراً مهماً في التأريخ للجزيرة العربية في فترة القرن11هـ/17م؛ ذلك أن الرحالة، وهو يجوب الآفاق بدءاً من انطلاق الركب الحجازي من المغرب متجهاً صوب الجزيرة العربية عبر المسالك، والواحات الصحراوية لكل من الجزائر، وليبيا، ومصر وانتهاءً بالحرمين الشريفين، كان يستعمل ريشته الساحرة ليرسم بدقة متناهية مشاهد من عادات سكانها وتقاليدهم وأطوار حياتهم الاجتماعية والطبيعية وما تتميز به الربوع من نبات وحيوان، وعمران، ومآثر تاريخية شاهدة على حضارة عربية أصيلة عاكساً بذلك جوانب عدة من تاريخ هذه الأمصار.

الجانب العمراني

اهتم الرحالة بوصف الأماكن والبلدان التي يمر أو ينزل بها؛ فقدم معطيات جغرافية عنها؛ فأبو سالم العياشي (ت1090هـ/1679م) عندما رحل إلى القاهرة متوجهاً إلى الحرمين الشريفين عبر صحراء سيناء، وصف المسالك والمعابر والمعالم والآثار، وَصْف العالم الخبير؛ فوقف عند "مغارة شعيب"، و"مدين" و"العقبة". وعند كل معلم يملي العياشي كثيراً من المعلومات والاستطرادات والارتسامات والخاطرات، إلى أن وصل إلى مدينة "ينبع"، ثم "بدر" و"رابغ"، ثم مكة المكرمة. قال أبو سالم: "وجئنا إلى بلد الينبوع ظهراً واستبشر الناس بقدومها؛ لأنها أول بلاد الحجاز العامرة، وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية، وفيها عامل لأمير مكة السلطان زيد" (العياشي، 1988، ص. 296–297). وانتقل بعد ذلك ليحدد موقعه الجغرافي وما تمتاز به من جبال متعددة وحركة تجارية غير

منقطعة قائلاً:" وقد أخبر من طلع مع وادي الينبوع أن عمرانه متصل نحو ثلاثة أيام، والقرية التي ينزل بها الركب هي آخر القرى التي من ناحية البحر وليس بعدها إلا ينبوع البحر الذي هو المرسى، وغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التي ينزل بها الحاج للتسوق... وأكبر جبال تلك البلاد جبل رضوي، وهو المشرف على بلاد الينبوع، وليس هو الجبل الصغير الذي بجانب الينبوع، بل هو الجبل الكبير المشرف عليه، وبها مسجد العشيرة المعروف ببطن ينبوع... وفي قبر الينبوع أيضاً قبر الحسن المثلث فوق القرية، وفي هذا البلد موطن طائفة الأشراف، ومنهم شرفاء بلدنا القاطنون بسجلماسة (العياشي، 1988، ص. 296–297).

واستمر الرحالة في وصف وتعداد الأماكن التي مر بها قبل الوصول إلى الحرمين الشريفين، كموضع السقائف، ويقال له دار الوقدة، ووادي الرمل المشرف على بدر. وفي أثناء نزوله ببدر وصف قبور الشهداء وقبور الأشراف اليمنيين قائلاً: "وكان نزولنا خارج البلد بينه وبين الجبل من مقابر الشهداء، وقد زرناهم في محلهم، وعليهم جدار قصير محيط بقبورهم، وبالقرب منهم قبور السادات الأشراف الردينية من أهل اليمن... وزرنا المسجد المسمى بمسجد الغمامة، وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر.. وانشرحت صدورنا بالمشي في أزقة القرية وبين بساتينها المشرقة النضرة كأنما نخلها، من شدة خضرته ونعومته وإشراقه عراجين الثمار المصفرة والمحمرة" (العياشي، 1988، ص. 304).

ويستمر الرحالة في تقديم معلومات قيمة عن أحوال الجزيرة العربية – وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة – العمرانية والأثرية في ق11هـ/ق17م. فها هو ذا العياشي يصف البيت العتيق وصفاً دقيقاً؛ حيث اختار له تصميماً هندسياً يتوافق مع تركيبة بنائه كما لاحظها وصورها الرحالة في تلك الفترة، ولابد أن هذا البيت اليوم قد طرأت عليه تغييرات عدة. يقول في صفة البيت العتيق – زاده الله شرفاً –:"من داخله بيت مربع، ونقص من الركن الذي عن يمين الداخل مقدار السلم نحو ثلاثة أذرع، يصعد منه إلى السطح، وأرضه

مفروشة بالمرمر الملون المجزَّع، مكسو الحيطان والسقف بكسوة على هيئة الكسوة الخارجية في الصنعة والكتابة، مخالفة لها في اللون، فإن الخارجة سوداء كلها والداخلة بياض في حمرة، وفيه مصابيح كبيرة معلقة، بعضها من الذهب وبعضها من البلار الأبيض الصافي المكتوب بلون أزرودي، وله ثلاثة أعمدة من خشب، مصطفة في وسطه ما بين اليمين والشمال، وكل عمود منها قد سمرت عليه ألواح من عود من أسفله مقدار وقفة " (العياشي، 1988، ص. 323)، ولم يكتف الرحالة بعملية الوصف؛ بل لجأ إلى رسم صورة مصغرة للبيت العتيق يظهر الخشب المسقف به الذي عليه اللوح، ذاهب من ناحية الباب إلى الجهة المقابلة له، أحدها على رأس السلم، وهو أقربها لجدار البيت، وليس بينه إلا مقدار ما يصلى فيه، والثاني بينه وبين الباب، والثالث عند الباب[8].

ولا شك في أن الوصف الذي قدمه العياشي للبيت العتيق، يتناسب مع الوصف الذي ذكره الخربوطلي – في تاريخ الكعبة – على مستوى الرؤية والمقياس.

وسيراً على عادة الرحالين إلى الحجاز، خص أبو سالم العياشي المزارات والمشاهد الدينية في هذه المنطقة بالوصف الدقيق؛ فتحدث هؤلاء الرحالة عن المساجد والآثار العمرانية بمكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرهما، وخصوا بالوصف المسجد الحرام ومشاهد الصحابة الكرام من حيث هندسة بنائها وجمالية تنميقها وزخرفتها، وتعهدها بالصيانة والتجديد والتوسعة؛ نستحضر في هذا الباب وصف الرافعي لمقام إبراهيم –عليه السلام – الذي يقع مقابل باب الكعبة المشرفة، وهو مرتفع عن الأرض على دكة مربعة الشكل، عليه شبابيك من النحاس المذهب من جهاته الأربع، سعة كل جهة ثمانية أشبار، وعلى المقام قفل من الفضة، وفي الداخل حفظ المقام، وهو حجر عليه قبة من الخشب عليها

(8) ينظر الملحق.

كسوة من الحرير الأسود المطرز بالذهب. وخلف قبة المقام قبة أخرى متسعة تابعة للمقام مرتفعة، لها ساريتان من الرخام، وقد خصصت للصلاة.

وتعرض الرحالة بالوصف الدقيق لأبواب المسجد الحرام؛ كباب النبي، وباب السلام، وباب الدار، وباب الحريرين، وباب الصفا والمروة، وباب إبراهيم، وباب العمرة، وباب العتيق وغيرها من الأبواب التي تجاوزت تسعة وثلاثين باباً، ويبدو من خلال عملية توصيف الرحالة لهذه المساجد، أنها عرفت تطورات كبيرة على مستوى العمارة، بفضل الإصلاحات التي قام بها سلاطين الدولة الإسلامية، والتي غيرت الكثير من معالمها إذا ما قورنت بالوصف الذي قدمته الرحلات السابقة الموغلة في القدم، كرحلة ابن جبير، ورحلة العبدري، ورحلة ابن بطوطة، وغيرها من الرحلات؛ مما يجعل من هذه الرحلات وثائق تاريخية شاهدة على آثار عمرانية واضحة المعالم في أي فترة من الفترات.

كما تعرض الرحالة بالوصف لمنى ومنازلها وما بها من الآثار والمشاهد المباركة "منى مدينة عظيمة الآثار، واسعة الاختطاط، عتيقة الوضع، قد درست وصار أكثرها براحاً إلا منازل يسيرة يعمرها أيام الموسم بعض الباعة" (السوسي، 2011، ص.514)، ثم رام بعد ذلك وصف مساجدها العتيقة؛ كمسجد البيعة، ومسجد الخيف، ومسجد العقبة أو البيعة، فهذا الأخير أشار إلى موقعه العياشي في شِعب تحت جمرة العقبة مع ميل إلى اليسار وأنت تتجه من مكة المكرمة إلى منى. كما تطرق لوصف مسجد المنحر القريب من جمرة العقبة، قيل إنه موضع حلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يفت العياشي أن يسجل ملاحظة مهمّة بخصوص مساجد مكة المكرمة؛ مفادها أن جميع الدور المأثورة أصبحت مساجد؛ مثل دار مولد الرسول، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة الزهراء، ومولد أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم، ودار الأرقم بقرب الصفا (العياشي، 1988).

إن رحلة العياشي إلى الحرمين الشريفين لم تمنعه بعد قضاء مناسكه من زيارة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؛ إذ تتبع معالم بيت القدس، فوصف مآثره التاريخية والحضارية والدينية، وها هو في أثناء زيارة للمسجد

الأقصى ومقام الخليل إبراهيم –عليه السلام – وقبة الصخرة للقدس الشريف سنة (1074هـ/1663م)، يبدي إعجابه وانبهاره بهذه المَعْلَمة التاريخية عندما أبصر بدائعها التي لا تستقصى، وجمالها الذي تجلى الله به عليها، فوصفها بإعجاب كبير وتقدير، متتبعاً الجزئيات واقفاً عند الآثار التاريخية والحضارية والدينية؛ حيث أعجب بالمزارات المتعددة داخل القدس وخارجها (زمامة، 1983، ص.165)، محققاً أمنيته الغالية في زيارة أولى القبلتين.

ومن هنا يتبدى اهتمام العياشي بفن العمارة في الجزيرة العربية؛ حيث أولاه مكانة عالية في أثناء معاينته وتوصيفه للأشكال الهندسية والزخرفية التي امتاز بها خلال فترة ق11هـ/ق17م.

الواقع الاجتماعي

إن القارئ المتفحص للرحلة المغربية عبر عصورها المختلفة، وبخاصة في ق11هـ/18م، يلاحظ بجلاء كيف استطاع الرحالة أبو سالم رصد حركية المجتمع الحجازي "في تركيبته البشرية وفي تشكيلته العرقية وفي سلوكيته وأخلاقيته، وأنماط حياته، وهي نواح قد لا نجد ذكراً لها في المدونات التاريخية الأخرى" (نواب، 2008، ص.117). ولا بدع في ذلك مادام الرحالة قد استقر به المقام لمدة ليست باليسيرة، جاور فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة لسنين عديدة، وتقدم للتدريس في المراكز العلمية، وطلب إجازة عدد كبير من العلماء، وتجول في الأسواق والأحياء، وتحمل مسؤولية التدريس والإفتاء، كل ذلك جعله على معرفة تامة بخبايا المجتمع الحجازي، وبظواهره وقضاياه؛ الشيء الذي مكنه عن قرب من رصد العديد من المظاهر الاجتماعية وتدوينها، فجاءت رحلته مثخنة بالكثير منها، فقد "أمدنا بمعلومات في رحلته عن هذه الناحية؛ فهو يعد مؤرخاً اجتماعياً في القرن الحادي عشر الهجري، ومصدراً يعول عليه في دراسة حياة سكان الحجاز في تلك المدة" (نواب، 2008، ص.409)، ودراسة تقاليدهم وعاداتهم؛ وفيما يتعلق بأسلوب الحياة فإن

أبا سالم العياشي أبدى إعجاباً منقطع النظير بأهل مكة المكرمة مقارنة مع أهل المدينة المنورة؛ لأنهم لا يزالون إلى الآن متمسكين بالقيم البدوية الأصيلة، وبالتقاليد العتيقة، سواء في أكلهم أو ملبسهم أو في طريقة تعاملهم، وكأني بالرحالة يقدم وصفاً لأهل مكة في العصور الأولى "إن أهل مكة المكرمة لم يزالوا على أعرابيتهم، واستعمال البداوة، وعدم المبالاة والاعتناء بالملبس والمأكل؛ إذ غلبت عليهم البداوة وكثرة مخالطتهم لأهل البادية وسكانهم بها" (العياشي، 1988، ص.227). والأمر لا يقتصر على فقرائهم بل يشمل أشرافهم وأمراءهم الذين ما يزالون على طبيعتهم البدوية وشغفهم الشديد بحب كل ما له صلة بالبادية وبطقوسها، سواء تعلق الأمر بسُكْناهم أم بأسلوب عيشهم أم بطريقة لباسهم. يقول العياشي:"حتى إن أمراءهم من الأشراف كان غالب سكناهم بالبادية على الرغم من أن لهم منازل بمكة، ومن ولد له مولود منهم استرضع له عند العرب بالبادية، كما أن لباس الشريف وأولاده وبني عمه، وإن كان في غاية الجمال وارتفاع السعر، إلا أنه على زيّ لباس العرب في تعمّمهم؛ إذ يلبسون العمائم القصار، ذوات الأهداب الطويلة، ويلبسون النعال ذات السيور التي ظهر... فهم عموماً قد غلبت عليهم البداوة" (العياشي، 1988، ص.228). خلافاً لأهل المدينة الذين كانوا ينزعون إلى المَدَنية ويأخذون بأسبابها سواء في أكلهم، أو ملبسهم، أو في تحضرهم، وفي جميع حياتهم اليومية انسجاماً مع عاداتهم، وقد تحقق لهم ذلك بفضل احتكاكهم بالأجانب؛ فكانوا يغالون في اقتناء الملابس الفاخرة ولبسها، والتزين بزي الأعاجم في مأكلهم ومشربهم وملابسهم؛ وذلك لكثرة سكن الأعاجم واختلاطهم بهم، وقد تعجب العياشي من ذلك إذ قال: "إن سكان المدينة المنورة عرف عنهم القناعة ولكن أصبحوا الآن خلاف ذلك؛ فهم من أرفه الناس عيشاً، وأكثرهم مأكلاً، وإسرافاً في ارتداء الملابس، ولكن هذا الأمر اقتصر على كبراء المدينة المنورة، أما الفقراء وغالبية المجاورين وخصوصاً

المغاربة[المقيمين بالمدينة]؛ فهم على حالهم من الفقر والمسكنة" (العياشي، 1988، ص.227). غير أن التناقض الاجتماعي بالمدينة لم يمنع الرحالة الشرقي ابن محمد من وصف أهلها بالجود والكرم، وتقديم الماء والتمر للضيوف من الحجاج، وتلك عادة حسنة اشتهر بها أهل المدينة.

ولم يفت العياشي، وهو العاشق للعلم والعلماء، المفتن بالتدريس، أن يذكر عادة طلبة العلم والمدرسين في المدينة المنورة؛ "إذ إنهم يعطلون الدراسة يومي الثلاثاء والجمعة، أسوة بالمدرسين الذين يعطلون بدورهم التدريس والقراءة في المكاتب، ويقرؤون فيما سوى ذلك من الأيام، خلاف عادتنا بالمغرب من التعطيل يومي الخميس والجمعة، فكنت أيام إقرائي بالحرم الشريف يكلفوني القراءة يوم الخميس فيشق ذلك علي لكونه خلاف المعتاد لدينا" (العياشي، 1988، ص.289).

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي استنكرها الرحالة المغربي، ظاهرة التعاطي للرشوة بالجزيرة العربية في جميع المهن، بما فيها المهن الشرعية، وهي ظاهرة تتقاسمها بلاد الحجاز والشام ومصر، سواء تعلق الأمر بالخطابة أم القضاء: "والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازاً، ومصراً، وشاماً من إمامة وخطابة وأذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة.. إنما تُنال بالشراء من الولاة، فإذا مات صاحب خطبة أو عزل دفع الراغب فيها مالاً لولاة فيولونه مكانه على أي كان من صلاحيته لذلك أم لا؛ فعظم الخطب على المسلمين والإسلام" (العياشي، 1977، ص.288). فضلاً عن وجود ظاهرة اجتماعية خطيرة في الجزيرة العربية طالما أرقت مضجع الحجيج، يتعلق الأمر بالسرقة التي يتعرض لها يومياً الحجاج في ترحالهم؛ ولذلك نجد الكثير من الرحالة يستنكرون أعمال اللصوصية التي يقوم بها بعض الأعراب. فالرحالة الدرعي[9] يروي تفاصيل تعرُّضِ موكب الحجيج للسرقة من طرف بعض اللصوص قائلاً: "ونزلنا ببندر العقبة، ونزل الركب عند الزوال، وتعرض

(9) أبو مدين عبد الله بن الصغير الدرعي، توفي سنة 1157هـ/1744م، علامة جليل ومفْتٍ، صاحب الرحلة الحجازية.

اللصوص لمرحول بعض التونسيين فيه نحو عشرة من الإبل، وضربوهم ببنادق، وفر من كان مع المرحول وأخذوه ودخلوا به الشعبة. وفر اللصوص بعدما أخذوا منه سبعة آلاف فضة، وأخذوا في هودج ستمائة ريال " (الدرعي، 2011، ص. 609). وذكر الرحالة في موضع آخر تعرض الركب للسرقة ببندر المويلح وعين الأقصاب، بعدما طاف السراق بالركب ووثبوا عليه من كل ناحية، آخذين بعضاً من مؤونته (الدرعي، 2011). ولم يغفل الرحالة وهو يصور الواقع الاجتماعي العربي آنذاك، أن يذكّر بالعلاقات الاجتماعية التي نسجت بين عرب الجزيرة العربية وغيرهم من الأجناس الدخيلة؛ كالأتراك والزنوج والأغوات والسنود والهنود والأعاجم.

لقد تعددت المظاهر الاجتماعية التي تعرض لها الرحالة بالوصف والتحليل باعتباره شاهد عيان على ما رآه، وسمعه، وعاشه بنفسه، فنقل لنا في رحلاته الحجية صوراً رائعة للواقع الاجتماعي وللتقاليد وللعادات المتعددة التي عرفتها الجزيرة العربية في فترة ق11هـ/ق17م، ويطول بنا المقام إذا حاولنا تعداد الظواهر الاجتماعية الموصوفة في كتب الرحلات المغربية، اللهم ما كان على سبيل التمثيل، لا الحصر، ولعل ما ذكرناه في هذا الجانب يقدم صورة مصغرة للواقع الاجتماعي الفسيفسائي في تلك الفترة، كما يؤرخ في الوقت نفسه لواقع الحياة اليومية للسكان ولطبيعة علاقتهم مع الآخر.

الجانب الاقتصادي

يقدم الرحالة المغربي وصفاً دقيقاً للنشاط التجاري والصناعي والفلاحي الذي عرفته الجزيرة العربية خلال ق11هـ/ق17م؛ الشيء الذي يجعل من رحلته مصدراً غنياً بالمعلومات المهمة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول الواقع الاقتصادي والتجاري الذي عرفته المناطق التي زارها الرحالة، ويبدو أن الموقع الإستراتيجي للجزيرة العربية قد أدى دوراً اقتصادياً وتجارياً مهماً عبر التاريخ؛ إذ أصبحت مركز جذب والتقاء للقوافل التجارية القادمة من جميع ربوع العالم لتبادل جميع أصناف المواد الصناعية والمنتوجات الفلاحية؛ لذلك باتت ضمن أكبر الأسواق التجارية في العالم الإسلامي.

لقد أولى العياشي الجانب الاقتصادي اهتماماً كبيراً في رحلته؛ ففي جميع القرى والمدن التي نزل بها في طريقه إلى الحجاز كان يصف الحركة التجارية في الأسواق وحجم الرواج بها، ويتحدث عن أنواع البضائع والمعروضات التي تشتهر بإنتاجها البلدان التي تقع على خط السير، مبرزاً جيدها من رديئها، كما أن نزول الركب ببلدة ما، كان يعني قيام سوق عامرة وحافلة بين الحجاج وسكان تلك البلدة، يتم فيها تبادل البضائع التي جلبها الحجاج معهم ومقايضتها بالبضائع التي تنتج محلياً، ويشتري الناس ما يحتاجون إليه من الزاد لإكمال الرحلة (الشرقي، 2013).

شكلت الفترة التي يقام فيها الحج مناسبة مهمة لنشاط الحركة التجارية في ربوع الجزيرة العربية عامة وفي الحرمين الشريفين خاصة؛ إذ اعتاد تجار الشام وغزة ومصر والقدس الشريف على ملاقاة الحجاج القادمين من كل فج عميق في الأسواق المعروفة برواجها التجاري؛ مثل: الينبع والعقبة ومكة والمويلح والوجه والأزلم، محملين بكل أصناف البضائع التي يحتاج إليها الحجيج قصد بيعها لهم انسجاماً مع قانون التسوق. وفي هذا الإطار يعرّفنا الرحالة العياشي بأنواع المنتوجات الفلاحية المعروضة في أسواق الحجاز وفي الحرمين الشريفين وأسواق مغائر شعيب – عليه السلام – محدداً ثمن كل منتوج بحسب مجموع الأسواق التي مر منها، قائلاً: "وتسوقنا بها أعراب مدين بأحمال كثيرة من العنب الجيد والأسود، وهو في غاية الحلاوة، وجاؤوا برمان كثير، واشترى الناس العنب أولاً بدرهمين، ثم صار بعد ذلك رطل ونصف بدرهم" (العياشي، 1988، ص. 284).

يبدو أن الأسواق التجارية الحجازية مختلفة؛ من حيث حجم المبادلات التجارية؛ ومن حيث البضاعة المعروضة تبعاً للموقع الجغرافي ومدى قربها من الساحل البحري أو من خلال بعدها، ويبدو أن أسواق جدّة أكثر الأسواق التجارية نشاطاً؛ بحكم الإمكانات التي أتيحت لها مقارنة مع غيرها؛ فهي آهلة بالنزل، والمكاتب، ودور الكراء، والوكالات التجارية، وهي عوامل جعلت من أسواقها مراكز نشطة في جذب واستقطاب القوافل والبضائع المحملة براً وبحراً.

جعلت الرحالة يفتتن بها؛ لحسن تنظيم أسواقها وكثرة المعروض من البضائع المختلفة الجنسيات؛ كالأقمشة الهندية، والأواني الصينية، وكل أصناف العطور والحرير والجواهر (الشرقي، 2013).

ولا تقلّ مكة المكرمة عن جدة أهمية على مستوى المبادلات التجارية بفضل تنوع أسواقها وحوانيتها، لدرجة أنها وسمت بموطن التجارة والتجار بامتياز؛ لما حباها الله – سبحانه وتعالى – من إمكانات قلّ نظيرها، يقول الرحالة الشرقي[10]: "فهي أكثر بلاد الله نعماً وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر، ولم يكن لها من المتاجر إلا وقت الموسم الذي يجتمع فيه أهل المشرق والمغرب؛ فيباع فيها في يوم واحد – فضلاً عن سائر الأيام من الأمتعة وأنواع البزّ وأنواع الجواهر واليواقيت، والذخائر النفيسة، والثياب الهندية، والأواني الصينية، ومن أنواع الطيب؛ كالمسك والعنبر والكافور والزبد والعود والعقاقير وغير ذلك – ما لا يدخل تحت الحصر ولا ينضبط، ولو فُرّق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق الحافلة النافقة" (الشرقي، 2013، ص.153).

الخلاصـة

لقد شكلت عوامل التواصل الفكري والحضاري بين المشرق والمغرب وفي مقدمتها الرحلات الحجية عامة والرحلة العياشية خاصة، مصدراً مهمّاً من تاريخ الحجاز وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والعلمية والدينية؛ وهو ما أسهم بشكل كبير في التأريخ للجزيرة العربية خلال ق11هـ/17م؛ إذ استطاع أبو سالم تقديم إفادات أنطروبولجية، من خلال وصفه للتركيبة السكانية والبشرية، والتقاليد والعادات التي تحكم مجموع الربوع والمزارات التي مر منها وشاهدها؛ فذكر الطيِّب والسيِّئ من عاداتهم وتقاليدهم.

(10) أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي، ولد بفاس سنة 1110هـ/1698م، لغوي مشهور صاحب الرحلة الحجازية، توفي بالمدينة المنورة سنة 1170هـ/ 1756.

ولا شك في أن النصوص التي وقفنا عندها تعرّف بالنشاط الاقتصادي والتجاري، وبالسلع والمصنوعات والمحاصيل الزراعية، والحرف الصناعية، والأطعمة والأغذية، وتعضد ذلك بإبراز أثمنة المنتوجات المعروضة في الأسواق وأنواعها وأجناسها، وأسماء الأسواق التي تروج فيها. وهذا المعطى من شأنه أن يقدم للدارس المهتم بتاريخ الجزيرة العربية في هذه الفترة تصوراً شمولياً عن طبيعة المواد المعروضة ولائحة بأثمنتها في كل سوق من الأسواق، وتوصيفاً للصناعات المتعددة، وطرق التجارة، وأنواع المعاملات، والوسائل التي تتم بوساطتها المبادلات؛ الشيء الذي يجعل من الرحلة مصدراً اقتصادياً وتاريخياً وجغرافياً مائزاً، يكشف حقيقة التواصل الحضاري بين جناحي العالم الإسلامي.

المراجع

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. (1987). *رحلة ابن بطوطة*. دار إحياء العلوم.

ابن جبير، أحمد. (1980). *رحلة ابن جبير*. دار صادر.

الإسحاقي، الشرقي. (2017). *رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية*. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

بنعبد الله، عبد العزيز. (1986). الرحلات الحجازية المغربية كشف لأمجاد الجزيرة العربية. *مجلة المناهل*، (261).

الحجوي، محمد.(د. ت). *الفكر السامي*. المطبعة الجديدة.

حجي، محمد. (1976). *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*. منشورات دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر.

الحموي، ياقوت. (1995). *معجم البلدان*. دار صادر.

الخربوطلي، علي. (1976). *تاريخ الكعبة*. دار الجيل.

الدرعي، محمد. (2011). *الرحلة الناصرية*. دار السويدي للنشر والتوزيع.

زمامة، عبد القادر. (1983). مع أبي سالم العياشي في رحلته إلى المشرق، *مجلة المناهل*، (27).

السوسي، محمد. (2011). *الرحلة الحجازية*. دار الأمان للنشر.

الشاهدي، حسن. (2002). *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني*. منشورات عكاظ.

الشرقي، محمد. (2013). *الرحلة الحجازية*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العياشي، أبو سالم. (1988). *الرحلة العياشية، ماء الموائد، الرحلة العياشية*. دار السويدي للنشر والتوزيع.

الفاضلي، سعيد. (2006). *الرحلة العياشية*. دار السويدي للنشر والتوزيع.

الكلبي، ابن دحية. (1955). *المطرب في أشعار أهل المغرب*. دار العلم للملايين.

المقري، أحمد. (1968). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. دار صادر.

نواب، عواطف. (1996). *الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين*. مكتبة الملك فهد الوطنية.

نواب، عواطف. (2008). *كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين* الحادي عشر *والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة*. دارة الملك عبد العزيز.

Achahidi, H. (2002). *The Morocco's Travel Literature in The Marinid Era* (in Arabic). Akkad's publications.

Acharqi, M. (2013). *Hijaz Voyage* (in Arabic). Arabic establishment for studies and publication

Addirii, M. (2011). *The Nazarene Journey* (in Arabic). The Swidi printhouse for publication and distribution.

Alayachi, A. S. (1988). *The Alayachi's Voyage: Ma'a Almawa'id* (in Arabic). Swidi printhouse for distribution and publication

Al fadili, S. (2006). *The Alayachi's voyage* (in Arabic). The Swidi printhouse for publication and distribution.

Al'hajiwi, M. (n.d.). *The semitic thought* (in Arabic). Aljadida printhouse.

Al'hamawi, Y. (1995). *Albouldan Glossory* (in Arabic). Sadir printhouse.

Alkalbi, I. D. (1955). *The singer of The Poems of The people of Morocco* (in Arabic). Al'il printhouse of Almayain.

Alkharboutli, A. (1976). *History of The Kaaba* (in Arabic). Eljil printhouse.

Almokri, A. (1968). *The Good Wet Whiff of The Soft Branch of Andusia* (in Arabic). Sadir printhouse.

Asswissi, M. (2011). *The Hijaz Voyage* (in Arabic). The Al'aman printhouse for publication.

Ben Abdellah, A. (1986). The Moroccan Hijaz Travels are The Discovery of The Glories of Arabian Peninsula (in Arabic). *Almanhal Journal*, (261).

Elysshaqi, Ch. (2017). *The hijaz Voyage of The Minister Elysshaqi* (in Arabic). The ministry of Islamic Affaires.

Hajji, M. (1976). *The Intellectual Movement in Morocco in The Saadians' Era* (in Arabic). Publication of Alma'arif Authorship printhouse.

Ibn Battuta, M. (1987). *The travels of Ibn Battuta* (in Arabic). Ihya'a Eloloum printhouse.

Ibn Jubair, A. (1980). *The voyage of Ibn Jubair* (in Arabic). Sadir printhouse

Nowab, A. (1996).*The Andalusian Moroccan Travels Are a Source of Sources of The Hijaz History in The 17th and 18th Hejrri centuries* (in Arabic). The king Fahd national library.

Nowab, A. (2008). *The Books of Travels in Morocco Are a Source of Sources of The Hijaz History in The 11th and 12th Hejrri centuries: a Comparative, Critical and Analytical Study* (in Arabic). The king Fahd national library.

Zmama, A. (1983). With Abi Salem Alayachi During His Voyage to The Levant (in Arabic). *Almanhad Journal*, (27).

ملحق

صورة للبيت العتيق في القرن 11هـ، رسمتها ريشة أبي سالم العياشي

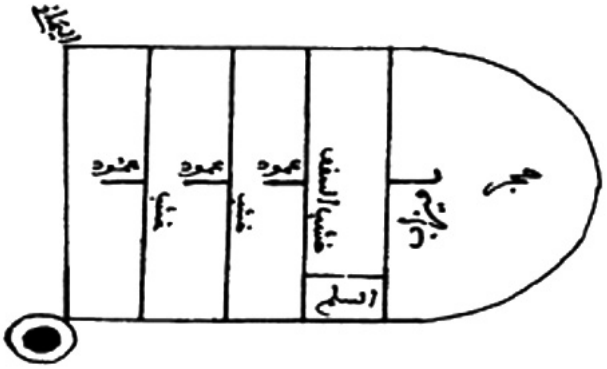

المصدر. (الرحلة العياشية1 /323).

The Scientific Communication between Morocco and The Mashreq: Alayachi as an Example

Prof. Elghali Benhachoum

Abstract

Objectives: The purpose of this study is to highlight the importance of Alayachi travel to Hijaz in introducing the social, economic and architectural conditions, that all abound in The Arabian Peninsula (Arabia). The study also seeks to investigate the contribution of Abi Salem Alayachi in enhancing the intellectual and cultural communication between the Mashreq countries and Morocco. In addition, this study aims at investigating channels of communication between Morocco and The Arab Mashreq (The Levant) as well as the role of Moroccan trips in the historiography of The Arabian Peninsula.

Method: In this study, researcher opted for the descriptive and analytical method appropriate to the type of the study that suits the speech in Travel Literature.

Results: This research study showed that:

- The communication between the Arab Mashreq (The Levant) and Morocco has contributed in enhancing the relationship between them.
- The Moroccan trips to Arabia were essential source of Hijaz history and its economic, social, architectural, scientific and religious conditions.
- The traveler Abi Salem Alayachi contributed in providing anthropological statements through describing the demography of the Arabian Peninsula.
- Alayachi also provided his statements about economic and commercial transactions in the region.

Conclusion: The factors of the intellectual and cultural communication between The Levant and Morocco, the most important of which were the pilgrimage journeys in general and the Alayachi trip in particular, formed an important source of the history of Alhijaz and its economic, social, architectural, scientific and religious conditions, and had largely contributed

in the Arabia's historiography during the 17th century A.D (11th century A.H). Moreover, Abi Salem Alayachi was able to provide anthropological statements as he described the Arabia's demographic specificity, its customs and traditions. He also described the economic and commercial activity practiced that time. All of these aspects and reasons made of Alayachi's Travel an important source in achieving a cultural communication between the two parts of the Islamic world.

Keywords: Communication, Mashreq (The Levant), Morocco, Travel, Alayachi, Trip.

أ. د. الغالي بنهشوم، حاصل على دكتوراه في الأدب العربي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في المملكة المغربية عام 2008، يعمل حالياً أستاذاً للتعليم العالي بجامعة مولاي إسماعيل بالمغرب. الاهتمامات البحثية: النقد، البلاغة، تحقيق المخطوطات، الشعر، التراث المغربي.
الإيميل: lghaliamine2008@yahoo.fr